

التصوير اللوني في شعر عبد المجيد فرغلي بين التصريح والإيحاء:

من خلال قصائد ديوان "من وحي الطبيعة"

The color photography in Abdelmadjid Farghaly's poetry between the statement and the suggestion : Through collection (Inspired by Nature)

هارون مجيد

رضوان شيهان

قسم اللغة العربية - كلية الآداب والفنون - جامعة الشلف

قسم اللغة العربية - كلية الآداب والفنون - جامعة الشلف

مخبر النظرية الوظيفية

مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات

majd1221@hotmail.fr

Chihane.radouane@gmail.com

تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٠٥/٢٦

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٢/١٠

النشر: ٢٠٢٤/٠٧/١٨

ملخص:

لقد نشأ الشعر العربي الحديث والمعاصر في ظلّ جملة من التغيرات الاجتماعية والسياسية والدينية، التي أثّرت بدورها في نفسية الشاعر، فسأقت إبداعاته، معيّراً بذلك عمّا عايشه من تجارب شخصية حركت وجدانه ومشاعره، فأفرحته أو أحزنته، فسكّنها في شكل قصائد موشّحة بألوان دلالية كاشفة لنا عمّا يجول بخاطره.

فمن خلال تتبّع قصائد الشاعر عبد المجيد فرغلي في ديوانه "من وحي الطبيعة"، نستشفّ الرؤية اللونية التي كانت ملاذه للتعبير عن ما كان يفرحه أو يحزنه، فنلفيه يوظّف الألوان صراحة كالأخضر والأبيض والأصفر خدمة لأغراض دلالية إيجابية دقيقة؛ كالخصب والزرق و النعيم في الآخرة والصفاء والنقاء، وأخرى سلبية؛ كالفناء والشدة وعدم النضج والمشقة... بل يعتمد حتى المتناقضات اللونية بإيقاعية وسطية - بين التصريح والإيحاء - متناسقة، ونجده في الجهة المقابلة يوظّف ألفاظاً دالة على الألوان سيميائياً، وفق ما يخدم المشهد التصويري للحدث، وهو ما سنتطرق إليه بالبحث والتمحيص من خلال بحثنا الذي يؤكّد على صدق وعمق التجربة الشعرية للشاعر إذ تأثّر بالطبيعة فأثّر فينا من خلال أشعاره .

الكلمات المفتاحية: التصوير اللوني؛ عبد المجيد فرغلي؛ ديوان من وحي الطبيعة؛ التلوين الشعري؛ سيمياء اللون.

Abstract :

Modern and contemporary Arabic poetry arose in light of a number of social, political and religious changes, which in turn affected the poet's psyche and led to his creativity, thus expressing the personal experiences he lived that moved his conscience and feelings and made him happy or sad. He poured them in the form of poems filled with semantic colors that revealed to us what was on his mind. By following the poems of the poet Abdel Madjeed Farghali in the collection "Inspired by Nature," we discover the color vision that was his refuge to express what made him happy or sad.

We find him explicitly employing colors such as green, white, and yellow to serve precise, positive semantic purposes such as fertility, livelihood, and bliss in the afterlife, serenity, and purity. And distress and immaturity, and others are negative, such as annihilation, distress, and hardship... and even color contrasts with a harmonious rhythm, and we find him at other times using words that indicate colors semiotically in accordance with what serves the pictorial scene of the event.

We will discuss them with research and scrutiny through our research, which confirms the sincerity and depth of the poetic experience of poet, as he was influenced by nature and influenced us through his poetry.

Keywords: Abdelmadjid Farghaly; Inspired by Nature; poetry; Poetry Coloring; colors.

مقدمة :

استطاع شعراؤنا من خلال إبداعاتهم الشعرية إيصال تجاربهم بصدق وعمق، حيث تأثروا بالطبيعة فأثروا فيها، فالنفس تميل وتطرب لكل ما هو جميل، كما أنّ الحسّ المرهف للشاعر يجعله يصبغ أشعاره بألوان الطبيعة، «فاللون يصبغ الحياة بصبغة البهاء والحسن، ويطبعها بطابع الجذب والإثارة، ويلقي عليها ظلالاً من البهجة والفتنة، ويعطي للأشياء مظهرها الجمالي الأخاذ، ويضفي على الوجود كلّ لمسة الجمال» (عيد سعيد، ٢٠٠٦م، ص: ٩٧).

هذا الجمال الذي أسر قلوب الشعراء، فتفتّوا في مزجه بتعابيرهم ليصبغوا سحراً خاصاً على صورهم الشعرية الرمزية أو التشبيهية والوصفية وغيرها، «فتشكل العبارة باستخدام الدلالات اللونية يمنح السياق معان تصل أحياناً بالخيال إلى التحليق في أجواء لونية قد لا تحدها صورة مرئية، واستخدام الألوان في السياقات الأدبية واللغوية أكثر صعوبة من استخدامه في الرسم والتصوير، لأنه يعتمد على قدرة المبدع في إثارة ما توحى به الألوان من دلالات في نفس السامع، من خلال التشكيل اللغوي الذي يصوّر أفكار الأديب وانفعالاته» (الصفار، ٢٠١٠م، ص: ٦٦).

فإذا أوصل المبدع إلى المتلقي فكرته الممزوجة بدلالات لونية، كان وقعها على نفسية متلقيها أبلغ، «وتكمن وظيفة اللون الجمالية والتزيينية في توضيح الصورة، وإبراز الفكرة، وتعميق المعنى، وبلاغة التعبير والتأثير بالتشويق أو التنفير... مما يوقظ القلب، وينبّه الحواس، ويثير الشهية للتذوق» (الهباء، ٢٠٠٩م، ص: ٩٣)، ويقصد بالتصوير اللوني تذوق المعاني ظاهرة كانت أم خفية من خلال الألوان الظاهرة منها والخفية، إذ سيدلّ عليها إتما بلفظ اللون، أو بما يرمز إليه، فيكون مبعث الجمال والجلال والبهجة والانفعال، و«قد استخدم الشعراء والأدباء الألوان، أداة من أدوات التعبير، ورمزاً لما يحملونه في قلوبهم من مشاعر، وتكته أفندتهم من أحاسيس، ولكلّ لون عندهم معنى وإحساساً، حسب الحالة النفسية التي يعيشون فيها، والجو النفسي الذي يتقبلون فيه» (صافي، ٢٠١٠م، ص: ٦١)، إذ أصبح اللون مترجماً عما يعتل في صدورهم، وناطقاً عما لم تستطع ألسنتهم البوح به.

وفي معرض حديثنا عن اللون عند الشعراء حاولنا أن نتحدث عن توظيف الألوان الظاهرة والخفية ودلالاتها عند الشاعر عبد المجيد فرغلي، وقوفا عند رؤيته الجمالية وتصويره الفني الفدّ من خلال تحليل بعض القصائد من ديوان - من وحي الطبيعة - على غرار "أنشودة من قلب النّيل" (صافي، ٢٠١٠م، ص: ١١)، "نخلة تعشق بدرا" (صافي، ٢٠١٠م، ص: ١٦)، و "عيد الطّبيعة" (صافي، ٢٠١٠م، ص: ٢١)، و "الحمامة والشاعر" (صافي، ٢٠١٠م، ص: ٣١).

✚ دراسة إحصائية تحليلية للألوان الظاهرة: من خلال استقصاء الواقع الشعري للقصائد المذكورة آنفا، ألفينا حضورا صريحا ومكتفا لبعض الألوان التي وظّفها الشاعر لنقل صورة فنية حيّة ومؤثرة عن واقعه وذلك وفق الترتيب الآتي :

١- اللون الأخضر:

اللون	درجة حضوره	البيت	عنوان القصيدة
الأخضر	٠٩ مرّات	الأرض الخضراء زروعاً تتماوج بين الأنسام الشجر الأخضر تكسوه حلل من زهر وحمّام	"أنشودة من قلب النّيل"
		والخضرة في شكل بساط من نسج السندس قدامي	"أنشودة من قلب النّيل"
		ورأيت الأرض مفصلة حلالا خضراء الأقسام نسجت من أخضر ألوان كاللوحه في يد رسام	"أنشودة من قلب النّيل"
		والوادي يحكي فاتنة لبست من خضر الأعلام وجبال خضر أو بيض أو صفر رملي وحطام	"أنشودة من قلب النّيل"
		روض من الأزهار بث رداءه	"عيد الطّبيعة"

خضراً، وأنسام الصبا قيثار		
شجر توشيه الأزاهر حسنه من سندس خضر علاه بهار	"عيد الطبيعة"	

- **دلالة اللون الأخضر:** يرتبط هذا اللون ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة بكل ما فيها، بعينها وأشجارها وزروعها وشموخ جبالها وزينة وديانها، فهو لون يبعث على الراحة والاستقرار، إذ يتفق أهل الاختصاص من علماء اللغة الذين بحثوا في الوشائج بين اللغة واللون على مجموعة من دلالاته فهو « لون الخصب والرّزق... وهو لون التّعيم في الآخرة... وكما أنّه لون الغضاضة وعدم التّضحج » (أحمد مختار، ١٩٩٧م، ص: ٨٩). وهو ما جعل الشاعر يحرص على توظيفه أكثر من ٠٩ مرّات؛ تعبيراً عن الخير والتّماء المرتبط ببلده، وما إلى غير ذلك من دلالات دينيّة و رمزيّة لهذا اللون من حنّة ونعيم، وما لها من أثر بليغ في نفوس متلقيها.

٢- اللون الأبيض:

اللون	درجة حضوره	البيت	عنوان القصيدة
اللون الأبيض	٠٢	وأبو قردان بمنّششر في <u>بيض</u> ثياب كئغام وجبال خضر أو <u>بيض</u> أو صفر رملٍ وحطام	"أنشودة من قلب النّيل"

- **دلالة اللون الأبيض:**

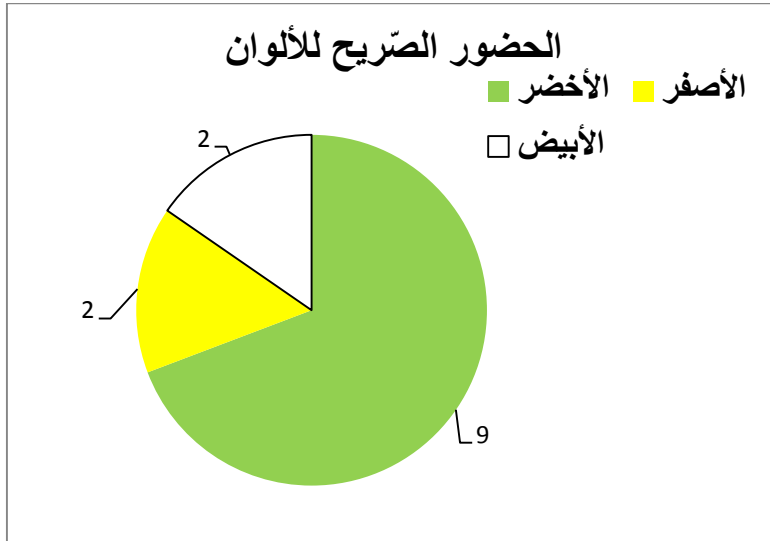
أخذ اللون الأبيض في الشعر المعاصر أبعاداً دلاليةً مختلفة ومتنوعة، وقد تلاعب به الشعراء ووشّحوها به قصائدهم ليبرزوا رؤيتهم الشعرية، وهذه الدلالات قد تكون مشبعة بمعانٍ إيجابية أو سلبية، فمن حيث الإيجاب فهو يدلّ على الصّفاء والطّهارة والنّقاء، والألفة والمودّة والسّلام، ومن حيث دلالاته السّلبية فهو لون يدلّ على الخيبة والهزيمة وذنو الأجل والكبر لارتباطه بالشّيب، وهناك معانٍ أخرى تستوحى من خلال السياق الواردة فيه سلباً أو إيجاباً. وسنحاول في معرض حديثنا عن هذا اللون رصدته بالتّدليل بغية إيضاح مواطن تجلّيه في بعض الأشعار المقتضبة من ديوان "من وحي الطبيعة"؛ إذ وظّفه الشاعر بدلالاته السّلبية في البيت الأوّل، حيث شبّهه بالتّغام؛ وهو نبات جبليّ أبيض الزّهر، لكن يشتدّ بياضه -للأسف- بعد أن يبس، ويشبّه عموماً في حديثنا عن الشّيب كصورة بيانية، أمّا بالنسبة للبيت الثاني فقد وظّفه بدلالاته الإيجابية كدليل عن الصّفاء والشموخ وعلوّ الهمة والتنوّع والقراء.

إذن فمن خلال ما اقتضيناه من أبيات، نلاحظ أنّ اللون الأبيض ورد فيها بمعنييه الإيجابي والسلبي حسب السياق الذي ورد فيه.

٣- اللون الأصفر:

اللون	درجة حضوره	البيت	عنوان القصيدة
اللون الأبيض	٠٢	وكرات اخري تشبهها <u>صفراء</u> عذار ولثام	"أنشودة من قلب التيل"
		وجبال خضر أو بيض أو <u>صفر</u> رمل وحطام	"أنشودة من قلب التيل"

- دلالة اللون الأصفر: إنّ اللون الأصفر ترتبط دلالاته المباشرة في الطبيعة بلون الشمس والزّمال الذهبية، وبلون الذهب اللامع البراق، أو حتى بلون النّحاس، كما أن « صلته بالبياض وضوء النهار ارتبطت بالتحفّز والتهبّؤ للنشاط، وأهمّ خصائصه اللّمعان والإشعاع، وإثارة الانشراح ولأنّه أخفّ من الأحمر وأقلّ كثافة منه فهو أميل إلى الإيحاء منه إلى إثارة الانفعال، والنشاط الذي يثيره أقلّ تأكيداً، ويفقد التماسك والتّخطيط، والأصفر المخضّر من أكثر الألوان كراهية، وهو بدرجاته المتعدّدة يرتبط بالمرض والسّقم والجبن والغدر والخيانة والغيرة» (أحمد مختار، ١٩٩٧م، ص: ١٨٤)، ولقد تفتّن الشعراء في رسم هذه الدلالات وغيرها في قصائدهم، فأكسبوه بُعداً جمالياً في أشعارهم. وها هو الشاعر قد وظّفه ليعكس ما بنفسيّته الثّائرة الغاضبة؛ بسبب ما آلت إليه أحوال الأمة من غدر وخيانة بني الجلدة للأمة العربيّة، داعياً الشعوب والحكّام إلى التهبّؤ وشحذ الهمم، آملاً في غد أفضل.



ترسيمة توضح درجة حضور الألوان الظاهرة في الديوان -الشكل

خلاصة :

بعد رصدنا لجلّ الألوان الظاهرة المصّرح بها في قصائد الديوان، ومن خلال الدائرة النسبية المرفقة نلفي الشاعر ينحاز - من قصيدة إلى أخرى- إلى لون دون آخر؛ لإبراز الدلالة وعمق المعنى، قصد إثراء تجربته الشعرية، وذلك لما في اللون من طاقة تعبيرية متشوّبة، تجسّد المعاني الكثيرة في لفظ لونيّ واحد دال واحد يعطي لنا مدلولات تزيد من كثافة المعنى، ليصور لنا بها الشاعر مشاعره بتوظيف الفاعل الأساسي فيها - وهو اللون-؛ فالدلالة اللونية لها أثر بليغ في تجسيد تلك المشاهد، إذ نجد الشاعر كرّر اللون الأخضر في أكثر من تسع مواضع متناوبة بين السلب والإيجاب، وربما تكراره لهذا اللون بكثرة يعزى إلى الأثر النفسي الذي خلفه على حياة الشاعر، نظراً لارتباطه الوثيق ببيئته وخضرتها، وبالنخلة والنخيلة خصوصاً .

• سيميائية الألوان في شعر عبد المجيد فرغلي: العلامات الإيحائية:

إنّ توظيف الشاعر عبد المجيد فرغلي للألوان لم يقتصر على ما صرّح به فقط، فهناك ألوان أشار إليها من خلال الترميز أو التلميح أو حتى الانزياح، وهذا ما يعمّق التجربة السيميائية لديه، فإذا أخذنا على سبيل المثال لا الحصر عنوان ثلاث قصائد الأولى في ديوان "من وحي الطبيعة" لشدّنا لفظ الطبيعة، فبمجرّد سماعه يرتبط لفظه كدالّ على اللون الأخضر كمدلول، فالطبيعة خضراء والتخل أخضر...، حيث اعتمده كثيراً لما له من أثر نفسيّ عليه وهو ابن "النخيلة"، وهذا ما سنحاول رصده من دوال لونية غير مباشرة قصد استنباط مدلولاتها، وما أكثرها في هذا الديوان، لذلك سنحاول الاستدلال بثلة منها من خلال الجدول التالي:

اللون	البيت المتواجد به
-------	-------------------

الصبح	وشعاع الشمس يغازلها *** صباحاً كفتاة و غلام
النور - الضياء	رقصا في حفل عناء *** في موكب أنوار منطلق نوراً فهي منك بمعزل *** هي جنة عنها أزال ضرار والشمس عليها ساطعة *** كضياء منار الإسلام اليوم معرضها يقص شريطة *** بيدي محافظة يضاء منار
الثغام	وأبو قردان بمنشر *** في بيض ثياب كثغام
البدر	والبدر عليها طلعتة ** بهرت أبصار أنام عشقت بدر سماء *** وهي فوق الروض طفلة عشقت بدرأ بأفق *** للهوى ترشف نخله نخله تعشق بدرأ *** عجباً يعشق نخله نخله ظلت زماناً *** تعشق البدر ونسله
الشعاع	كم لها مد شعاعاً *** آخذاً للشوق قبله عشقت منه شعاعاً *** للثرى يبعث رسالة أرأيت أسرار النبوغ تفجرت *** من كل كامنة يشع سرار
القمر	قد أحبتـه هلالاً *** قمرأً يرغب وصله وفدت عرائس يوم عيد حافل *** بالبشر فيه تهلت أقمار
النجم	أنجم حول هلال *** والشذى يرشف طله
الهلال	قالت النخلة هب لي *** يا هلال الأفق مهلة قد أحبتـه هلالاً *** قمرأً يرغب وصله أنجم حول هلال *** والشذى يرشف طله
التضارة	نعب من الفكر الموجه قد سرى *** بين المواهب فيهن نضار فلذا الوليد يميز فيه جريره *** بعباءة فيها الخيوط نضار ماكدت أبهر من نضارة حسنه *** حتى غدت توحى لي أشعار

الدلالة المقصدية:

يشير الشعراء إلى اللون الأبيض بألفاظٍ دالة عليه كالصّبح، والتّور، والضّياء، والتّغام، والبدر، والشّعاع، والقمر، والنّجم، والهلّال، والنّضارة... وغيرها من الألفاظ التي تحمل دلالة البياض كمرحلة جديدة بعد ظلمة، وهو ما وظّفه الشاعر بشدّة، فاللون الأبيض عنده يحمل العديد من الإيجابيات الإيجابية مثل الصّبح، والتّور، والضّياء، والنّضارة، ويجسد بعض الإيجابيات السّلبية حيث يكون دالاً على الموت أو قرب الأجل، باستخدام ألفاظ تشير إلى ذلك مثل التّغام... الدّال على المشيب والكبر.

الدّل	اللفظ	البيت المتواجد به
السّود	الظلمة	الرحلة فَي وسط الدلتا *** قد غسلت ظلمة آلامي
	الليل	والشعر بهامتها ليل *** فى كف الريح بأنغام وطوى الليل ستاراً *** وكلاننا لم رحلة
	الدّجى	كنت أرنو من سمائي *** والدجى ينشر سُدلة فيمعرض سوق الطبيعة *** داره وبأرضه طوت الدجى أنوار

الدلالة المقصدية:

لقد وظّف الشاعر في مرحلة ثانوية وبدرجة خفيفة بعض الألفاظ الدالة على السّود كالظلمة، والليل والدّجى... إلخ، حيث نجده يرمز عموماً إلى الحزن والألم والموت، «كما أنّه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتّم، ولكونه سلب اللون يدلّ على العدمية والفناء» (أحمد مختار، ١٩٩٧م، ص: ١٨٦)، وهذا ما يعكس إلى حد ما المشاعر الصّادقة والتّنبيلة للشاعر، الذي يعبرّ من خلال هذه الألفاظ الموحية عن حزن ممزوج بالخوف على مستقبل البلد والأمة، وهذا ما يتشارك فيه مع كثير من الشعراء المعاصرين الذين يربطون هذا اللون بالظلم والاستعمار، أو بالألم والعذاب، وكلّها ألفاظ توحى بالعمّة والسّود، هذه الدّوال وظفها الشعراء كمشار لوني يوصل رؤيتهم، حيث اتخذوا سيمياء اللون لعبة شعرية يقلّبونها في أيديهم كيفما شاؤوا.

الدّل	اللفظ	البيت المتواجد به
-------	-------	-------------------

المناقشات	إيقاعية التعاقب والتضاد	التعاقب
وجبال خضر أو بيض*** أو صفر رمل وحطام وحمام الدوح صدى لمن*** يترنم من خدر ظلام والأنجم بادي بسمات*** في ثغر الليل البسام نخله تعشق بدرًا*** وستار الليل زكلك وبنات أفكاره روافد وحيها*** رفت بها الآصال والأسحار		

الدلالة المقصدية:

إنّ تلاعب الشاعر بالألوان في قصائده خلق إيقاعاً لونياً خاصاً أضفى على صوره الشعرية لمسة سحرية خاصة، جسّدت رؤاه ونفّست وأجلت عن مبتغاه، والملفت للنظر في بعض أشعاره ورود الألوان تبعاً محمّلة بدلالات مختلفة كلّ لون يلوّح بمعانٍ دفيئة لا يحملها اللون السابق له، وتعاقب الألوان بدلالاتها المختلفة يعزف به الشاعر ويجسد إيقاعاً خاصاً في صوره الشعرية.

ومّا لا شكّ فيه أنّ التصوير اللّوني المبني على التضاد والتدرّج من خلال المزج بين الألوان سيخرج لنا لوحات شعرية مشحونة بأعمق المقاصد والتجارب النفسية والاجتماعية وصولاً إلى إيقاعية تشدّ نفس المتلقين، وقد أورد الشّاعر تلك الألوان متضادة في بعض المواضع، فيأتي باللّون ونقيضه (ضده)، ويسوق لنا تلك المتضادات اللّونية لتكشف لنا عن تناقضات سواء في نفس الشّاعر أو مجتمعه أو حتّى في بيئته ومن أمثلتنا (الحمام والظلام، البدر والليل، الآصال والأسحار) وكلّها موحية إلى بياض يتلوّه سواد يكملّه في دائرة متعاقبة ممثلة لسنّة الله في خلقه .

فالتّور والظلام لفظان نقيضان سلّطت عليهما الأضواء ليس كلفظين نقيضين فحسب، وإنّما كلونين من الألوان غير الصّريحة التي تُكسب دالاً ما دلالة اللّون لفظاً. فهذان اللفظان يُساقان مساقاً واحداً، فبمجرّد تلفظنا لكلمة نور يتبادر إلى الذّهن نقيضه الظلام..

ضف إلى ذلك أنّ الشاعر عبد المجيد فرغلي "كثيراً ما يعتمد إلى عنصر التضاد اللّوني بالمقابلة بين اللّونين الأبيض والأسود ووضع اللّون الأبيض في مواجهة الأسود إنعكاساً لثنائية الصّراع بين التّور والظلام، وكثيراً ما تكون الغلبة في صالح اللّون الأبيض أو في إنتصار الأمل" (أحمد مختار، ١٩٩٧م، ص: ١٨٦)، فالأمل هو مبتغى كل شاعر.

هذه الدلالة لها طبع متأصل إستحصل في الشاعر؛ فزوّج الطاهرة تسموا إلى التّور والثّورانية، عكس الإنسان الظّال صاحب الأفكار السوداوية والأعمال السيئة، إذ نلفي روحه لاتسموا أصلاً؛ بل توءد بين قدميه في ظلمات باطن الأرض تدنّسها شروره وكفره، وترسّخ في الذّهن البشري أنّ التّور هو البياض "فظهره يرمز دائماً إلى إنتصار

الخير على الشر، إنه النور الذي يسحق الظلام، ويبشّر بالأمل والتفاؤل والإشراق، أو لنقل أنه المعادل الموضوعي للحياة في جانبها المضيء" (فوزي، ١٩٩٨م، ص: ١٩٢). حتى في التعبير عن صفاء النفس ونقاها يصبح اللون الأبيض هو الإطار الذي يحتضنها ويلونها بألوانه الخاصة.

الدال	اللفظ	البيت المتواجد به
الأزرق	النيل	ومشى للنيل بصفحتها *** نهر من سالف أعوام
	النهر	وكان جنة حوره قد فتحت *** وجرت خلال مروجها الأنهار
	الوادي	والوادي يحكي فاتنة *** لبست من خضر الأعلام
	الماء	رشفت من ماء عذب *** ما يذهب برح الأجسام
	السما	عشقت بدر سماء *** وهي فوق الروض طفلة كنت أرنو من سمائي *** والدجى ينشر سدلة فأنا فرد سمائي *** أعشق الريف وأهله إني أبادلك المشاعر صادقاً *** أني احتوتنا للسماء ديار؟

الدلالة القصصية: إنّ دلالة اللون الأزرق ممتدة امتداد زرقة السماء، فكما أن القائم منه يدل على الظلام والليل، فإنه كذلك "يدلّ على الخمول والكسل والهدوء والراحة، وهو في التراث مرتبط بالطاعة والولاء، وبالتضريح والابتهاال، وبالتأمل والتفكير، والأزرق الفاتح يعكس الثقة والبراءة والشباب، ويوحى بالبحر الهادئ، والمزاج المعتدل، أما الأزرق العميق فيدلّ على التميز والشعور بالمسؤولية والإيمان برسالة ينبغي تأديتها» (أحمد مختار، ١٩٩٧م، ص: ١٨٣).

لقد ارتبط هذا اللون - قديماً - بإيحاءات سلبية، وقد أضحى له أبعاداً أخرى ابتغى الشاعر الوصول إليها من خلال توظيف ألفاظ موحية مثل (النيل، النهر، الواد، الماء، السماء و البحر...) «التي تتمحور عادة حول معاني ودلالات ورموز يكون الأزرق فيها دالاً سيميائياً على الصدق والحكمة، ورمز الخلود، وقد يدلّ على الحب كما يرمز في السياق ذاته إلى الإخلاص والشرف والأمل و صفاء السيرة عند الفرد، ويوحى أيضاً في درجة أخرى من درجاته بالسلام وقد دلّت التجارب على أنّ هذا اللون أكثر الألوان تهدئة للنفس» (عبد الجبار جواد، ٢٠٠٩م-٢٠١٠م، ص: ١٥٠)، وهو ما نلمسه من خلال الألفاظ السابق ذكرها، ربّما لارتباطه برحابة السماء الزرقاء والتفكير بفضائها تنفر ممّا يضيق عليها الخناق، ولفظ السماء تردّد كثيراً في أشعار المعاصرين محمّلين كلاً منهما بإيحاءات مختلفة تزيد من صدق وعمق التجربة الشعرية، فهي هو الشاعر يوظّف كلمة السماء بمدلولات عميقة في قصيدته "نحلة تعشق بدرا".

إنّ سيمياء اللفظ كان لها بالغ الأثر في المقطع الشعري السابق، فلفظ السماء تكرّر في هذا المقطع وهو محمّل بالكثير من المعاني منها الأمل والغد الأفضل في الحياة، والراحة وسعة العيش رغم كلّ المتناقضات، إلّا أنّ هذا الأمل يحمله ويلزمه أينما حلّ وارتحل راجياً أن يتحقّق.

الدال	اللفظ	البيت المتواجد به
الأصفر	الشمس	رفعت طرف هواها *** لسنا الشمس مهلة

الدلالة المقصدية: إنّ توظيف الألفاظ الموحية بالأصفر يعزّزها ويعزّز طاقتها الإيحائية و«يُعِدُّ اللون الأصفر على صعيدي التشكيل والتدليل لوناً إشكالياً، ينطوي على قدر مهم من التعقيد والغموض والحساسية لا تظهر لعبة المعنى فيه على نحو واضح إلا من خلال التناغم الذي يجب أن يحصل شعرياً بين التشكيل والتدليل» (عبد الجبار جواد، ٢٠٠٩م-٢٠١٠م، ص: ١٥٨)؛ أي بين الصياغة الشعرية واللون وأبعاده الإيحائية أو ما دلّ عليه.

فلقد رسم الشاعر صورة شعريّة من المشار اللّوني "الشمس"، ولكن لم يوظّفها كمبعث للتور أو الأمل؛ بل رمى بها إلى أبعد من ذلك، إذ أخرجها من المدلول الحقيقي إلى مدلول إيحائي، فالشمس المصفرة الحارقة في شهر آب -شهر أوت- ترمز هنا إلى احتدام الصراع القبلي، حتى بين أبناء النخيلة كنموذج مصغّر، وهو ما تأسّف عليه كثيراً، إضافة إلى اشتعال نار حارقة من نوع آخر؛ نار الاستعمار الهوياتي والثقافي في عديد المقاطع الشعرية الصريحة والضمنية منها

الدال	اللفظ	البيت المتواجد به
الأخضر	الزرع	الأرض الخضراء زروعاً *** تتماوج بين الأنسام
	السندس	والخضرة في شكل بساط *** من نسج السندس قدامي شجر توشيه الأزاهر حسنه *** من سندس خضر علاه بهار
	التخل	فرأت نخلة روضي *** تشهر القد مسلة قلت يا نخل بلادي *** نخلتي بنت نخيلة نخلة تعشق بدرأ *** عجباً يعشق نخيلة نخلتي بنت بلادي *** روضها يملأ سهلة نخلة ظلت زماناً *** تعشق البدر ونسله قالت النخلة هب لي *** يا هلال الأفق مهلة

فصل الجمال بسحره وبعطره *** ضحكت له بثغورها أشجار يحي موات الكائنات جماله *** وتنال سحر جمالها أشجار شجر توشيه الأزاهر حسنه من *** سندس خضر علاه بهار	الشجر	
وكأن جنة حوره قد فتحت *** وجرت خلال مروجها أنهار	المروج	

الدلالة المقصدية:

اكتسح اللون الأخضر مساحة شاسعة في أشعار الشاعر عبد المجيد فرغلي لما له من أثر بليغ في نفسيته، فعكسه في لوحات فنية راقية بألفاظ موحية وآلية سيميائية، إذ «يحظى اللون الأخضر من بين شبكة الألوان الأخرى بكثافة لونية ذات قوة وحضور وتداول شعري عالٍ على المستويات كافة، وذلك لما يتمتع به من تمثيل تاريخي لروح الإنسان وتاريخه ومزاجه، وحساسيته، علاقته المصيرية الأدبية بمعاملات الطبيعة، لذا فهو يتمتع على الدوام وفي أكثر استخداماته الشعرية بقوة لونية طاغية، تنعكس على رمزية التدليل الشعري لتشحنه بطاقة سيميائية مفتوحة ومتجددة وعميقة ومتشظية» (عبد الجبار جواد، ٢٠٠٩م-٢٠١٠م، ص: ١٠٤)، وهذه الطاقة اكتسبها الشاعر من الطبيعة بأشجارها وبأرضها المعشوشبة وبثمارها المختلفة الألوان، فشحنه بإحياء لونية متجددة، «ومما لاشك فيه فإن هذه الخاصية السيميائية والتشكيلية التي يتخصّب فيها اللون الأخضر، تعمل في نطاق إنتاج الدلالة الشعرية على الانفتاح على مفهوم لعبة المعنى أكثر من أي لون آخر في السياق، إذ هو يقبل أكثر من قراءة وأكثر من تأويل في وقت واحد، استناداً إلى كثرة درجاته وتعقيد حضورها على مستوى التدليل والتميز في الذاكرة والموروث الشعبي» (عبد الجبار جواد، ٢٠٠٩م-٢٠١٠م، ص: ١٠٥)، وحتى في الموروث الديني، فقد ارتبط الأخضر بالجنة ونعيمها ولباس أهل الجنة، وهناك دوال عند النطق بما يتمثل لنا اللون الأخضر ولكن بأبعاد إيجابية مختلفة حسب السياق الوارد فيه ومن هذه الدوال نذكر السندس، والتحل، والشجر، والمروج والزّرع... وغيرها، فها هو عبد المجيد فرغلي يتلاعب بمعاني هذا اللون مورداً للحرية والتّعيم والخير الذي يحلم كل شاعر أن يتجسّد حقيقة.

الدال	اللفظ	البيت المتواجد به
الأحمر	الشّهب	ساقها في الأفق يعلو *** قد رأى في الشّهب خلة

إنّ حضور هذا اللون-الأحمر- سيميائياً في ديوان "من وحي الطبيعة" نادر لأنّه يدلّ دلالة صارخة على معاني مرتبطة بالنّظام الفيزيقي؛ «نحو الهجوم والغزو، وهو في التّراث مرتبط دائماً بالمزاج القوي والشّجاعة والثّار، وربما ارتبط كذلك بالافتتان والضّغينة، وكثيراً ما يرمز إلى العاطفة والرّغبة البدائية والنّشاط الجنسيّ وكلّ أنواع الشّهوة، أمّا اللون اللّامع منه فيشير إلى الانبساطيّة والنّشاط والطّموح والعملية، أمّا اللون الفاتح منه (الزّهري) فيدلّ على التهور وعدم النّضج، كما يدلّ على حيوية الشّباب وصحته» (أحمد مختار، ١٩٩٧م، ص: ١٨٤-١٨٥)، وكلّ هذه الإحياءات لا تتماشى مع شخصية ونفسية الشاعر في حديثه عن الطبيعة، إذ أنّ الموقف هنا غير مناسب، لذا كان توظيفه شبه منعدم، إلا التّزر القليل في لفظ (الشّهب).

إن اللون الأحمر عند الشّعراء المعاصرين يدلّ على «العواطف الثائرة، والحبّ الملتهب، والقوّة والنشاط، وهو رمز النّار المشتعلة، ويستعمل في بعض الأحيان للدلالة على الغضب والقوّة والخطر، وللدلالة على الثّورة، ويتسم الأحمر في سياق آخر بقسوة التعبير عن الحبّ والفرح والسّرور، ويدلّ على الغنى والفرح ويرمز أيضاً إلى القتال والشّدّة...فهو لون النّار والدّم...يسبب الإحساس بالحرارة»(عبد الجبار جواد، ٢٠٠٩م-٢٠١٠م، ص: ١٣٨). وهي غير مناسبة للموقف الشّعري هنا.

الشجر الأخضر تكسوه *** حلل من زهر وحمّام
الزهر وشاح من ذهب *** من نسج الملك العلام
عشقت بدر سماء *** وهي فوق الروض طفلة
حملت عقد الالآلى *** فوقها أرخت مظلة
ولدى الجيد عقود *** من نضار زان حبلّة
وطيور الجو نشوى *** نصبت للروض حفلة
فرأت نخلّة روضى *** تشهر القد مسلة
وابتغى منها ثماراً *** تملأ الصدر وسؤلّه
نخلتي بنت بلادي *** روضها يملأ سهلة
فرحاً بما أهدي لها الإزهار *** شرعت تبث عبيرها أزهار
وتفياً تورق الغصون حدائق *** صدعت على آفعا الأطيّار
في موكب حمل الربيع عبيره *** هو معرض يسعى له ويزار
وكأنما الزهر المفتاح أنجم بسمت *** وأوراق الغصون عذار
روض من الأزهار بث رداءه *** خضرأ وأنسام الصبا قيثار
من كل طائفة ترفرف بمجة *** بين الخمائل ملهن قرار
تمضي فراشات كأرواح ترى *** عبر الفضاء لها صدى وحوار
والسحب تركض شرعاً أفواجها *** يزجى قوافل فلكها التسيار
أو لم يكن عيد الطبيعة أقبلت *** في ثوب زينتها دعاء مزار؟
رفعت له الأعلام من أغصانها *** فبكل أرض روضة معطار
ومواكب الولدان تخطر كالدمى *** في كفها لذى الربيع شعار

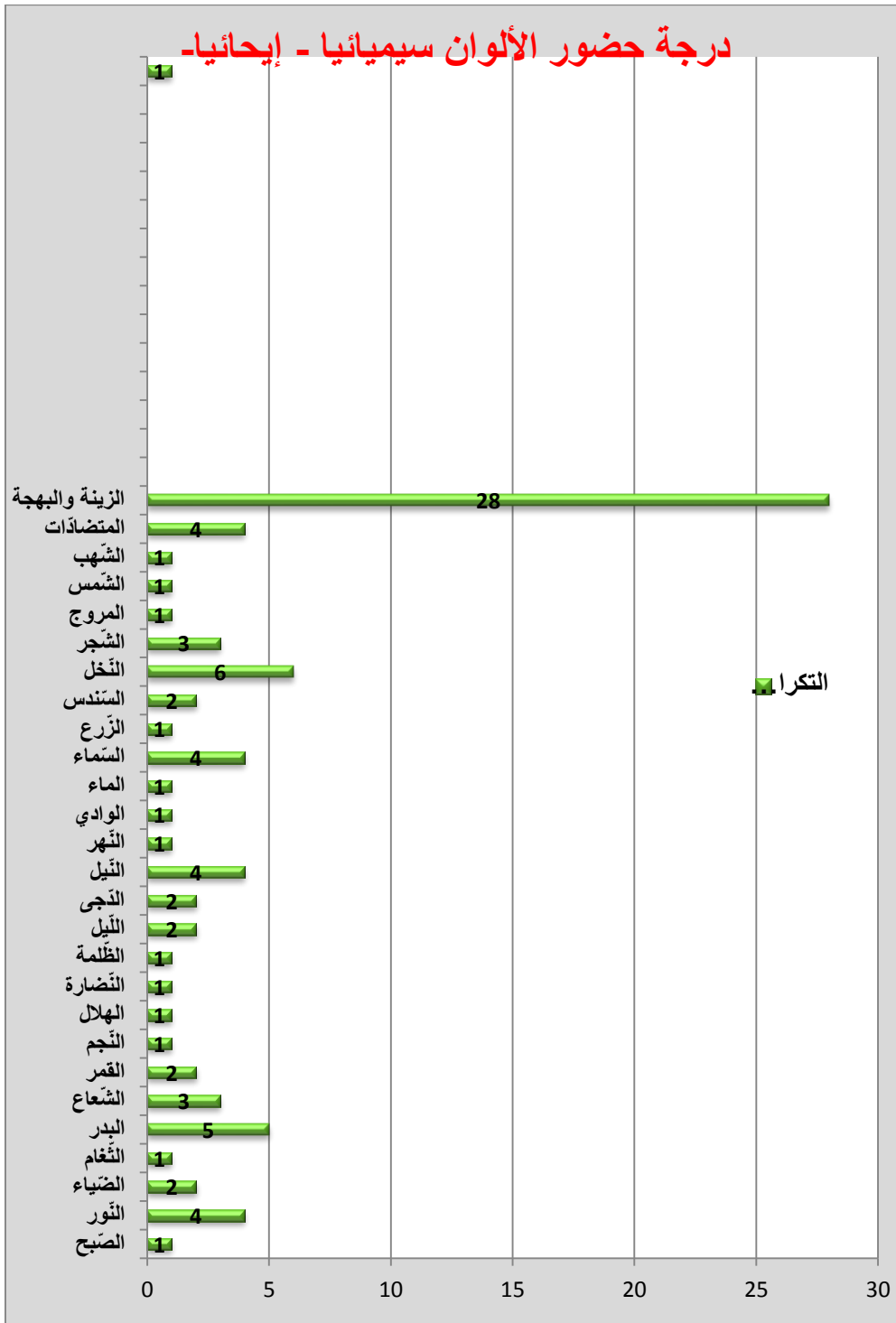
في يوم عيد قيل للأم امرحي*** فيه يزيناك بهجة ووقار
اليوم عيدك في الوجود جميعه*** فاح العبير وفتح النوار
فلكل غصن فرحة بقدمه*** وأزاهر بثت به وثمار
دار هي الحيوان لو علم*** الوري روح الوجود وروضه الأزهار
في مارس عيد الربيع تفتحت*** تلك البراعم إذ غدا الإزهار
عيد الأزاهر والمواهب والنهي*** وشذا الأمومة حيث طاب جوار
صفحات نور أودعت أسرارها*** إن الطبيعة عالم زخار
الزهر مؤتلق الثغور تحفه*** بسمات طهر همسها أسرار
والفكر زهر باسم في غصنه*** في كل روض نفحه مزهار
والنشء من نبت الطبيعة روضه*** حي تدفق والصدى أوتار
يا نبت أيام الصبا وربيعه*** ومواهب شتى لها أفكار
وأنا الحفي بمعرض في حسنه*** وقف الربيع تحفة الأزهار
قد طفت فيه تحفني أزهاره*** وبما حواه تسحر الأبصار
أبصرت صنع الله في ملكوته*** بين الرياض يحفه الإكبار
ومشيت يسخرني الجمال بسحره*** حيث الأزاهر هاهنا وثمار
أقسمت بالله اللطيف وصنعه*** أن الطبيعة زانها القهار

لِنَتَأَمَّلَ مَلَبًا الْأَلْفَاظِ الَّتِي فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَلِنَتَسَاءَلَ: مَا الَّذِي يَتَبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ لَدَى سَمَاعِهَا؟ لَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ
مَلْفُوظٍ مِنْهَا يَنْوِّهُ لَنَا بِالْجَمَالِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَالْجَمَالِ يَتَحَقَّقُ بِلَمَسَاتِ سِحْرِ الْأَلْوَانِ، فَكُلٌّ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَرْصُوفَةِ فِي
الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ تَحِيلُنَا إِلَى سِفْسِفَاءِ مِنَ الْأَلْوَانِ. فَالزَّيْنَةُ جَلِيَّةٌ لَفْظِيَّةٌ مَادِّيَّةٌ فِيهَا جَمَالٌ مُتَجَدِّدٌ تَجَدَّدُ الْحَيَاةِ، تَعَدَّدَتْ أَلْوَانُهُ
وَمَدْلُولَاتُهُ.

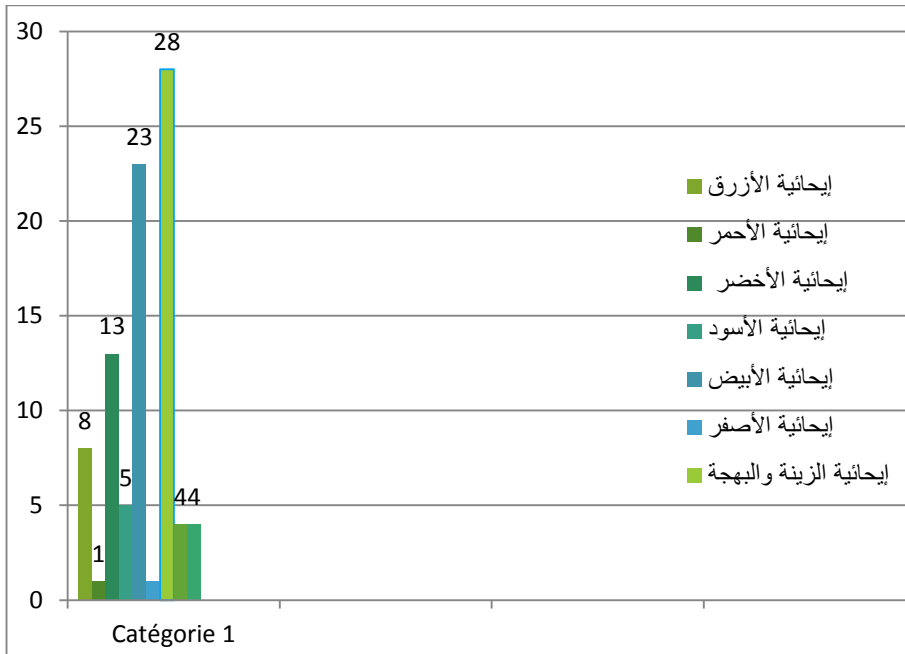
تَتَعَالَقُ هَذِهِ الْمَشَاهِدُ الْإِبْدَاعِيَّةُ بِالْأَلْفَاظِ تَوْحِي إِلَى الْجَمَالِ وَالْحَسَنِ وَالْبَهَاءِ وَالسَّحَرِ الْفَتَّانِ، فَالْأَلْوَانُ الَّتِي تَسْتَشْفَى
بَاطِنِيًّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ هِيَ الْجُزْءُ الْبَاعِثُ لِهَذَا الْجَمَالِ الَّذِي نَبْصَرُهُ، وَنَتَمَلَّى مَا فِيهِ فِي جَمِيعِ مَا حَوْلَنَا فِي الْأَرْضِ، فِي
السَّمَاءِ، فِي الزَّهْوَرِ وَالتَّمَارِ... فزينة الأرض كلّ ما يجعلها تبدو جميلة في عين الناظر إليها، وقد زيتها الله بالجمال
والأودية والحقول والبساتين والنخل والأنهار والينابيع. والشّيء إذا كان زينة أحدث السرور في النفس وكذلك إذا كان

بهيحاً فإنّه لا يعدم إثارة الغبطة والراحة. وخاض فيه الأصفهاني إذ: "البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه، وقد ابتهج بكذا أي سرّ به سروراً بأن أثره على وجهه" (قنبي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص: ١٠٦).

فالشاعر يعني أنّ كلّ ما هو مُبهِجٌ و مَزِينٌ و مُزَخَرَفٌ لا يخلو من الألوان ممّا جعله يعتمد على توظيفها موشّحا جميع قصائده بهذه الألوان الخفيّة، فهذه الألفاظ قد عملت على تعميق المعنى وترسيخ الصّورة بألوانها، فالبهجة والزينة والزخرف إذا نظرنا إليها كدالّ نلفيها توحى بمدلول الجمال الموشّح بالألوان، وهنا نلمس سيميائية اللون من خلال مؤشّرية كلّ دالّ من المدلولات السابقة، فهي مرصّعة بألوان ضمنيّة تدرك من خلال اللفظ كدالّ والسياق الذي ورد فيه؛ كمنظر النّخيلة (الذي هو نموذج مصغّر عن جمال البلاد) من خلال الحداثق البهيجة التي تبعث في القلب السرور والحيوية.



ترسيمة توضّح درجة إيحائية الألوان - الشكل ٠٣.



الخاتمة :

فبعد صولنا وجولانا عبر مروج حدائق ديوان "من وحي الطبيعة" واكتشافنا لمسارب الألوان فيه ، ومن خلال الرسومات التوضيحية المرفقة والمتعلقة بالحضور السيميائي للألوان ، بل و بعد التقصي والبحث لا نزعم ولا نجزم بالقول أننا أهيئنا دراستنا شرحاً وتعقيماً وتنقيماً لأنّ كلّ عملٍ فنيّ ولو وصل إلى مرحلة الاكتمال إلاّ أنّه يبقى ناقصاً يحتاج لمن يتدارك ذلك النقص ويعبئه، فها نحن نخلص إلى مجموعة من النتائج:

١- تضمّن ديوان "من وحي الطبيعة" العديد من القصائد الحُبلى بألفاظ توحى إلى الجمال الذي يقودنا إلى الألوان ، فاهتمام الرحالة عبد المجيد فرغلي باللون لم يكن اعتباطياً إذ كان لا يخطأ بقلبه، حاول أن يعكس من خلال أشعاره ما يختلج في نفسه وما يناسب المشهد الشعري في أهي صورة إبداعية قصد التأثير في نفس متلقيه .

٢- لعلم الدلالة والسيميائية أهمية بالغة للغوص في مجاهل النصّ وهدمه وإعادة بنائه من جديد، عبر الدال والمدلول اللذان يشكّلان العلامة. فلعبة المعنى ذات تأثير بالغ في أشعار الشاعر، انزاح بها عمّا لم يريد البوح به.

٣- للألوان أبعاد دلالية ظاهرة وخفية وأخرى جمالية ونفسية موحية تعرف حسب السياق الواردة فيه. فقد نوع الشاعر بين الدلالات اللونية من إيجابية إلى سلبية تبعاً للموضع والسياق الذي وردت فيه واكتفتها.

٤- للشاعر عبد المجيد فرغلي رسالة أراد تبليغها من خلال شعره، واعتبر نفسه اللسان التاطق لحال الشعب المصري والأمة العربية في آن.

- ٥- ديوان "من وحي الطبيعة" صوّر فيه الشاعر صورة صادقة عن حياة المواطن المصري من خلال شحن شعره بمقومات الأمة على غرار الطبيعة والبيئة والهوية والدين والتاريخ ... دون إهمال أو تفريط.
- ٦- الألوان الصريحة كانت الأقل استعمالاً في ديوانه مقارنة بالألوان الخفية. فالألوان الصريحة اقتصرت على الأبيض والأخضر والأصفر في حالات شاذة على عكس الخفية-الإيحائية- منها التي اكتسحت غالبية أشعاره كما ونوعاً من أبيض وأسود وما بينهما من إيقاعية التعاقب والتضاد وإحماهما، وأخضر وأصفر وأزرق وأحمر، بل وحتى التنوع والثراء اللوني الخفي الذي يعكس ما يصطلح عليه بالبهجة والزينة أين خلقت إيقاعاً خاصاً بين دفتي ديوان "من وحي الطبيعة".

مصادر ومراجع البحث:

- ١- ابتسام مرهون الصفار. (٢٠١٠). جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- ٢- الهباد حمد عبدالله. (٢٠٠٩). الموسيقى في اللغة والأدب، دراسة في كتاب التصوير الفني في القرآن. القاهرة، مصر: دار الكتاب الحديث.
- ٣- حامد صادق قنبي. (١٩٨٠). الكون والإنسان في التصوير الإسلامي. الكويت: مكتبة الفلاح.
- ٤- عبد المجيد فرغلي. (٢٠٢٣). ديوان "من وحي الطبيعة". مصر: دار الشواهد للنشر والتوزيع.
- ٥- عبد الهادي صافي. (٢٠١٠). مقالات في بلاغة القرآن الكريم. سوريا: دار الإرشاد للنشر.
- ٦- عمر أحمد مختار. (١٩٩٧). اللغة واللون. القاهرة-مصر: كلية دار العلوم.
- ٧- عيسى فوزي. (١٩٩٨). تجليات شعرية "قراءة في الشعر المعاصر". الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف.
- ٨- فانتن عبد الجبار جواد. (٢٠٠٩-٢٠١٠). اللون لعبة سيميائية. مصر: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- ٩- يونس عيد سعيد. (٢٠٠٦). التصوير الجمالي في القرآن الكريم. القاهرة: عالم الكتب.